المعارك الأدبية حول الشعر في النصف الأول من القرن العشرين

مجلة الرسالة نموذجا

دراسة تحليلية

الباحث/ محمد إسماعيل إبراهيم إسماعيل

رسالة دكتوراه كلية الآداب /قسم اللغة العربية

مدخل:

العراك الأدبي سمة بارزة من سمات الحياة الأدبية في عصرنا الحديث، بل إنه أصبح علامة على حيوية حياتنا الأدبية وفوائدها ، وقد دارت معارك حامية بين الأدباء والكتاب منذ مطلع القرن العشرين ، و زادت اشتعالا فيما بين الحربين العالميتين ، وخلال مرحلة الحرب الثانية بصفة خاصة ، وقد شجعت المجلات الأدبية بوجه عام تلك المعارك والمناقشات الفكرية والأدبية بين كتابها أو بين قرائها.

ولكن هذه المناقشات الفكرية والأدبية كنت تحتدم أحيانا فتشكل منازعات أو مناوشات أو خصومات أو معارك ، وكان احتدامها يشتد حين تتطور إلى معركة بين كاتبين أو أكثر، فتعنف اللغة المستخدمة فيها ،وتتطور انفعالات أصحابها ، وتدخل مفردات حادة تصل إلى حد السباب أحيانا، ومع ذلك تعد الخصومات والمعارك على هذا النحو ذات فائدة للأدب والأدباء فيما يتعلق بالرأي الذي يكشف عنه أو الحيوية التي يثيرها[1].

وهذه الخصومات كما وصفها الأستاذ أحمد أمين كانت دائما نعمة على الأدب ، وإن كانت نقمة أحيانا على الأدباء أنفسهم(2)

أما أساس الخصومة كما يوضحه أ / علي شلش فرأي أو فكرة يطرحها صاحبها فتثير خصاماً حولها ، ولكن الخصام يتخذ أشكالاً متعددة يتدرج من المناقشة الهادئة إلى المشادة إلى المعركة أو المصاولة[3].

---

[1] انظر: اتجاهات الأدب و معاركه ص 135 ، د / علي شلش .

[2] انظر :فيض الخاطر،جـ3، ،صـ249 ، د/ أحمد أمين. .

[3] انظر:اتجاهات الأدب ص 136 .

ولقد كانت المناقشـــات الهادئة والمشـــادات المحددة دائمة الظهور على صـــفحات المجلات الأدبية ، ولكن الخصـــومات والمعارك الســـاخنة كانت تشـــكل ظاهرة واضـــحة في مناقشات الكتاب على صفحات المجلات خلال مرحلة الحرب الثانية بصفة خاصة لا من حيث لهجتها وخشـــونة مفرداتها وحســـب وإنما من حيث توافرها وكثرتها أيضـــا ، فقد كانت أكثر عددا من مجموع المعارك الأدبية في فترة ما بين الحربين.. وهذا ما يقرره د /علي شلش[1]، و د/ محمد أبو الأنوار[2]

وقد اختصـــــها أ/ أنور الجندي بكتابه المعارك الأدبية في مصـــــر منذ 1914 م–1939م، وهي تقريباً فترة ما بين الحربين العالميتين لأهمية تلك الفترة ، وبخاصـــــة خلال الحرب العالمية الثانية ،وكذلك الأمر في كتابه المســـــاجلات والمعارك الأدبية إذ يفتتحه بقوله: "هذه محاولة لدراسة الأدب العربي المعاصر من خلال معاركه ومساجلاته وقضاياه في هذه الفترة الخصبة الحافلة ، وهي فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى[3].

ويســـــتطيع الدارس أن يحدد بعض المؤلفات التي تناولت ما بين الحربين العالميين ومنها:

1 – طه حسين في معاركه الفكرية والأدبية تأليف سامح كريم

2 – معارك العقاد الأدبية لعامر العقاد .

3 – العقاد ومعاركه الأدبية لسامح كريم .

4 – المعارك الأدبية في مصرمنذ 1914م – 1939م للأستاذ أنور الجندي.

5 – المساجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضارة للأستاذ أنور الجندي.

6 – العقاد في معاركه السياسية أ / سامح كريم.

7 – طه حسين ومعاركه الأدبية – مقالات لم تنشر من قبل، أ / صلاح عطية.

[1] انظر: اتجاهات الأدب ومعاركه ص 136. ، د/علي شلش

[2] انظر: الحوار الأدبي حول الشـعر ص 18، ثم يقول: "ثم إن العناية بهذه الفترة السـابقة يوضـح لنا عمق الصـراع وحدته في الحياة المصرية بين الجديد والقديم، و تساعدنا على فهم النتائج الكبرى لهذا الصراع.

[3] انظر: المساجلات والمعارك الأدبية ص3.

وتمثل هذه المعارك الأدبية قطاعاً حياً من قطاعات الحياة الفكرية في الأدب العربي لخطورته وأهميته في مجالات النثر والشـــعر واللغة العربية والقومية العربية ومفاهيم الثقافة ونقد الكتب[1]

أما أطرافها فيحددها أ / أنور الجندي إذ يقرر أنها دارت بين المحافظين والمجددين، والمجددين أنفسهم.. متطرفيهم ومعتدليهم[2] ,أما موضوعاتها فقد تضمنت موضوعين حددهما أيضـاً أ/ أنور الجندي ، وهما معركة مفاهيم الثقافة ،ومعركة مفاهيم الأدب ، وكان من أبرز أعلامها في معسكر المحافظين أحمد زكي باشا وفريد وجدي الرافعي ومحمد أحمد الغمراوي وشكيب أرسلان ورشيد رضا ، وفي معسكر المجددين العقاد والمازني وزكي مبارك وهيكل وطه حسين وسلامه موسى[3].

ويبرز د / محمد أبو الأنوار دور رجلين من رجال أحمد لطفي السيد في هذا الصراع وذلك لقيامهما بدور الصـــف الثاني الزاحف نحو الهجوم الذي يؤازره ويؤيده ويطمئن ويبين طموح المتفائلين في الصدر ، والرجلان هما د/ طه حسين ومحمد حسين هيكل، فإن كان دورهما قبل بدءالعشـــرينيات دورعراك وحوار حول طرائق فهم الحياة الاجتماعية والفكرية والأدبية خاصة... فما إن جاء منتصف العشرينيات حتى أصبح كل منهما من أكبر قوى الحياة الفكرية عامة والأدبية خاصة[4].

والناظر في هذه المعارك يجد أننا أمام فريقين: أحدهما في جانب الاتهام والتحدي ، ووقف في هذا الجانب كثيرون في مقدمتهم شبلي شميل ، وسلامة موسى ، وطه حسين، ومحمودعزمي ، ولويس عوض ، وفيليب حتى، وإســماعيل أحمد أدهم ، وحســين مؤنس ، وســامي الكيلاني ، ولطفي الســيد ، وتوفيق الحكيم ولويس شــيخو، وعبد العزيز فهمي ، ومحمد خلف الله أحمد.

[1] انظر: ص5.
[2] انظر: السابق ص5.
[3] انظر: السابق ص625.
[4] انظر: الحوار الأدبي حول الشعر ص86.

وأما في جانب الدفاع ورد حجج الخصم ودفع الاتهام وكشف الزيف عمالقة أقلام في مقدمتهم أحمد زكي باشا، ومحمد فريد وجدي ، وحسين الهراوي ومصطفى صادق الرافعي ورشيد رضا , ومحب الدين الخطيب ومحمد أحمد الغمراوي ومحمود محمد شاكر ....

كما شارك فيها أعلام امتلأ إهابهم إيماناً ورصانة منهم أحمد الحوفي والخضر حسين ، ومحمد تقي الدين الهلالي ، والعقاد ، وعبد المتعال الصعيدي ، ومصطفى عبد الرازق ، والدكتور هيكل[1].

مفهوم العراك الأدبي:

كان العراك الأدبي في تلك الفترة (منذ مطلع القرن العشرين إلى منتصفه) يتعلق بفكرة أو موقف أدبي أو بقضية من قضايا النقد الأدبي يدور حولها الصراع بين الأدباء والنقاد، أما الدكتور أبو الأنوار فيوسع مفهوم الحوار أو العراك في بحثه فيراه ليس قاصراً على تنازع طرفين حول الانتصار لفكرة أو سحقها، بل يتناول ما هو أوسع من هذا إذ يعتبر أن مجرد ظهور فكرة تزحم أخرى بالمنافسة والمخالفة نوع من الحوار والعراك الفكري ، وكذلك ضروب المناقشات الهادئة الباحثة عن الحق والطريق ، وليس بلازم عنده أن تكون هناك أطراف يتنازعون حول هذه الفكرة أو تلك على أن المادة الخاصة بتنازع أطراف بأعينهم كثيرة وافرة [2].

وقد يبدأ النزاع بمقال ينشر مثلما وجدنا في نقد وحي الأربعين للرافعي حين نشر عدة مقالات في مجلة المقتطف سنة 1933م ، وجمعها في كتابه: "على السفود" ، وكانت هذه هى المرحلة الأولى في المعركة.

أما المرحلة الثانية فكانت أغنى وأخصب بما أثارت من قضايا وأنجزت من مناقشات بين سيد قطب ومحمود محمد شاكر، فالنزاع قد لا يقتصر على فكرة بين اثنين ، بل قد يمتد النزاع فيشمل جيلاً أو جيلين، وقد يكون النزاع حول كتاب، وكان أوضح مثال لهذا النوع من الصراع هو كتاب الدكتور طه حسين: "في الأدب الجاهلي"، بما أثار من معارك ، وكذلك ما

[1] انظر: المساجلات والمعارك الأدبية ص6 .
[2] انظر: الحوار الأدبي حول الشعر ص6 ،7.

دار من صراع حول كتبه: على هامش السيرة ، وحديث الأربعاء، ومستقبل الثقافة في مصر، ومع المتنبي[1].

وقد مثل لنا أ/ شـــاكر ما رآه في حلبة النقد بقوله: "فإني قد رأيت الأدباء قد أكل بعضهم بعضا بألسنة كظهر المبرد ، وتشاحنوا بينهم للكلمة التي لا ترفع ولا تضع و تنابذوا على الأهواء الغالبة المســـتكلبة، ومن كان هذا هجيراه ودأبه فهو عند النقد أو الاعتراض كالوحش الجوع الغرثان قد أجهض على أشـــلاء فريســـته ، يكاد ينقض عليه إهابه من الغيظ والحقد والرغبة في الإيقاع بمن يصرعه عن أحلام معدته ، وهذا أسوأ الخلق وأبعده عن نهج الأدب[2].

بل قادت أصـــحابها إلى المحاكم ، يقول أ/ على الطنطاوي :" ثم معركة القصـــص الفني في القرآن التي أثرتها علي خلف الله، وأســـتاذه الشـــيخ أمين الخولي ووقفت معه من أجلها أمام المحكمة". [3]

وقد كانت هذه المعارك طريقا للخصـــومات والســـباب مثلما وجدنا في معارك زكي مبارك مع عبد الله العفيفي ، أو معركة شكري مع المازني.

دوافع الصراع بين الأدباء: يستطيع الباحث حصرها فيما يلي:

أ – الدفاع عن المذاهب الوافدة في مجالات الأدب والفكر، والتي آمن بها طائفة من كتابنا متأثرين بثقافتهم الغربية .

ب– إحســـاس طائفة من كتاب العربية بالخطر الداهم من انتشـــار عوامل التغريب والاندفاع نحو الغرب ، والتطرف والانحراف الذي لم يلبث أن ظهر من جانب المدرســـة الحديثة.

ج – الانتصار لرأي في قضية أدبية ثار حولها الخلاف كالذي نجده مثلاً حول قضية الشعر المرسل.

---

[1] انظر : معارك طه حسين الأدبية الفكرية ص15، 16 سامح كريم - مهرجان القراءة للجميع.

[2] انظر: مقالات شاكر ص48 ، ج 1 "منهج في هذا الباب " مكتبة الخانجي.

[3] انظر: ذكريات الطنطاوي ج 5 ص 276 مقال:" معركة دروس الديانة في المدارس في الشام "- دار المنار للنشر والتوزيع – جده – السعودية 1422 -1992 م.

د- نشـــوب النزاع بين أقطاب المدارس والاتجاهات الأدبية كالذي نراه من النزاع بين الديوان والمدرســة الكلاســيكية ممثلة في حافظ وشــوقي، أو بين الرافعي والعقاد حول ديوان وحي الأربعين ،وامتدت بعد وفاته بين ســـيد قطب ومحمود محمد شـــاكر، أو بين أقطاب المدرسة الواحدة كالنزاع بين شكري والمازني، ووقوف العقاد إلى جانب المازني ضد شكري.

هـ طبيعة العصر نفسه والذي مثل دور الحيرة بحثاً عن الأصلح لحياتنا الأدبية.

و- كما أنها سـنة الله في خلقه أن يبقى الناس مختلفين لاختلاف المشـارب والثقافات والتوجهات.

ز- الأهواء المستكلبة والغالبة على أصحابها وهذا ما عبر عنه شاكر قائلاً :"فإني قد رأيت الأدباء قد أكل بعضـــهم بعضـــا بألســـنة كظهر المبرد – وتنابذوا على الأهواء الغالبة المستكلبة[1].

مراحل الصراع:

أما مراحل الصراع ــ والتي شكلت النصف الأول من القرن العشرين ــ فيمكن تقسيمها حسب طبيعة المرحلة كالآتي:

المرحلة الأولى: وتبدأ من مطلع القرن حتى ظهور كتاب الديوان في الأدب والنقد ، وقد دار الحوار فيها حول مفهوم الشعر، أو تفضيل شاعر على شاعر آخر، أو قصيدة على قصيدة أخرى ، أو نقد قصيدة بعينها أو شاعر بذاته، وبعض هذه المعارك كان يهتم بتنشيط الحركة النقدية والفكر الأدبي بوجه عام ، وقد دارت تلك المعارك على صـــفحات الصـــاعقة والثريا والمؤيد وعكاظ والســـفور" ،وقد كان للعقاد وشـــكري والمازني الدور الأبرز في تلك المرحلة" حيث قرعوا بمقارع من حديد أبواب العقول والأذواق[2].

أما طه حسـين فقد كتب أولى مقالاته النقدية في تلك المرحلة سـنة 1909 م يخطىء فيها الشـيخ عثمان المهدي ، ثم تتوالى مقالاته النقدية في العام نفســه فيتقدم طه حسـين إلى نقد مقالات (اللزوميات) للمنفلوطي، ولم يمض على هذه الهجمة من طه حسـين إلا سـبعة أشـهر حتى عاد يواصـل هجومه في أبريل سنة 1910م على كتاب النظرات للمنفلوطي ، ثم

[1] انظر: مقالات محمود محمد شاكر ص48 ج1.
[2] انظر :الحوار الأدبي حول الشعر ص85 د / محمد أبو الأنوار.

تتوالى معاركه حتى يصـــل إلى معركته الكبرى حول الشـــعر الجاهلي ، والتي كانت أولى مقالاته عنها في مجلة السفور تحت سلسلة مقالاته إلى (الآنسة صبح) سنة 1915م، التي وجه فيها إلى المنهج الصحيح للبحث الأدبي، وهذه المقالات حسب تقدير د/ أبو الأنوار هي البداية الأولى لمعركة الشعر الجاهلي[1].

المرحلة الثانية: وتبدأ من سنة 1921م بظهور كتاب الديوان وهو حسب تعبير د/أبو الأنوار – :كان نهاية وبداية[2] ..نهاية لدور من أبرز أدوار الصـراع وبداية لدور آخر أوسـع مدى وأبعد أثرا ،وهى بحسـب وصـف عامر العقاد :"من أعنف المعارك الأدبية التى عرفها الجيل الماضـى"[3]، وقد هاجم فيه العقاد شـوقي وطريقته في كتابة الشـعر، فثار أنصـار شوقي، فقد هاجم العقاد مقام شاعرهم، وسيد الشعراء عندهم، وقد تشعب العراك حولها، ولم يقتصر على الداخل بل نجد أطرافاً من خارج مصر قد اشتركت في الصراع فهاهو ميخائيل نعيمة يبعث من مهجره الأمريكي مقالة يشد بها أزر الديوان ، وقد نشرت الرجاء مقال نعيمة قبل أن يطبع الغربال سنة 1923م.

ولقد كان لكتاب الديوان بجزأيه من الدوي في الربع من القرن العشـــرين ما لم يحدثه كتاب أدبي آخر باستثناء كتاب الشعر الجاهلي للدكتور طه حسين[4].

المرحلة الثالثة: وتبدأ سـنة 1926م بنشـر كتاب في الشـعر الجاهلي لطه حسـين، وتضم هذه المرحلة معركة وحي الأربعين بين الرافعي والعقاد.

المرحلة الرابعة: وتشـــمل المعركة بين الاتجاه العاطفي أو جماعة أبوللو والاتجاهات السـابقة – فنرى فيها عراكاً بين هذا الاتجاه والاتجاه المحافظ ، وعراكاً بينه وبين الاتجاه الذهني وجماعة الديوان.

هذه أبرز مراحل العراك الأدبي في النصـــف الأول من القرن العشـــرين، ولا يفوت الباحث أن ينبه على أن هناك معارك كثيرة لم يرد ذكرها هنا وإنما سـيأتي ذكرها مفصـلاً في حينه.

---

[1] انظر :السابق ص 113.
[2] انظر :الحوار الأدبي حول الشعر ص156.
[3] انظر : معارك العقاد الأدبي ، ص17، عامر العقاد، منشورات المكتبة العصرية ، بيروت.
[4] انظر : الديوان في الأدب والنقد، ص7 ،تصدير بقلم ماهر شفيق فريد ،مكتبة الأسرة2000م

الأصول البعيدة للمعارك الأدبية والفكرية ، وتشمل:

1- الموازنات والتحكيم بين الشعراء.

2- المناظرات والمحاورات.

3- السرقات الأدبية.

4- النقائض.

5- الملاحاة بين الأدباء والعلماء.

6- المعارضة الشعرية.

7- القضـــايا النقدية في القرنين الثالث والرابع الهجريين, مثل قضـــية القديم والجديد، والخصومة بين القدماء والمحدثين , وما أثاره أبو تمام من جدل حول مذهبه في قول الشعر، وهجوم منتقديه الشديد ، ودفاع أبي بكر الصولي عنه في كتاب:" أخبار أبي تمام"، والمعارك النقدية التي دارت حول المتنبي وشـــارك فيها كثير من العلماء والنقاد والأدباء أمثال: ابن خنزابة ، والجرجاني ، وابن جني والحاتمي ،أو المعركة الأدبية التي دارت بين ابن وكيع التنيسي والمتنبي.

الحوار الأدبي حول الشعر على صفحات المجلات الأدبية في النصف الأول من القرن العشرين

كان للمجلات الأدبية دور بارز في الحياة الثقافية والفكرية والأدبية منذ مطلع القرن العشـــرين إلى أيامنا هذه، وعلى صـــفحات هذه المجلات دارت المعارك الأدبية ... تلك المعارك التي أسـهمت في توجيه الأدب العربي الحديث وتطوره بخاصـة الشـعر العربي في مطلع القرن العشرين .

وقد تناول تلك المعارك الأسـتاذ/ أنور الجندي في كتابيه ..."المسـاجلات والمعارك الأدبية في مجال الفكر والتاريخ والحضـارة"، وكتاب "المعارك الأدبية في مصـر سـنة1914 /1939 م".

كما رصدها د/ محمد أبو الأنوار في كتابه" الحوار الأدبي حول الشعر"

وتناول طرفاً منها أ/ ســـامح كريم في كتابه "العقاد في معاركه الأدبية والفكرية" ،و أ/ عامر العقاد في معارك العقاد الأدبية، ومعارك طه حسين الأدبية والفكرية لسامح كريم أيضاً.

أما أبرز المعارك التي تتناولتها المجلات الأدبية ودارت حول الشعر[1]فأربع معارك هي:

الأولى: معركة وحي الأربعين.

الثانية: المعركة بين شكري والمازني.

الثالثة: معركة زعامة الشعر.

الرابعة: معركة الشعر الجاهلي.

بالإضافة إلى معارك أخرى دارت حول الشعر، ولكنها لم تنل من الأهمية :مثلما نالت تلك المعارك الرئيسة:

ومن تلك المعارك ما دار حول شوقي، فنشر العقاد مجموعة مقالات جمعها في الجزء الثاني من الديوان، ووضعها تحت عنوان" شوقي في الميزان".

وفي السياسة الأسبوعية يهاجمه المازني قائلاً: ليس شوقي عندي بالشاعر ولا شبهه، وأنه لقطعة قديمة متلكئة عن زمن غابر لا خير فيه يغني عنه كل قديم ولا يضـيف هو إلى قديم[2].

ويهاجمه العقاد في السياسة الأسبوعية في عدد ابريل سنة1927م بمناسبة مهرجان شوقي وتتويجه أميرا للشعراء.

أما هيكل فبعد أن اصـدر العدد الخاص من السـياسـة الأسـبوعية[3] لتكريم شـوقي، وكتب مقدمة الشـوقيات، فقد تغير رأيه في شـوقي وكتب مقالاً تحت عنوان" أخلاق شـاعر الأخلاق"[4] ، وذلك حين علم أنه لفق بعض أخبار عن السـياسـة الأسـبوعية وأطلق جماعة

---

[1] هناك معارك أخرى كانت من الخطورة بمكان مثل معركة لقمة العيش بين د/ زكي مبارك، وطه حسين ، لكنها لم تكن متعلقة بالشعر من الدرجة الأولى ، فقد دارت حول كتاب النثر الفني، وحول فصله من الجامعة، ولم يتناول الحديث عن الشعر إلا في جزء صغير منها يتعلق بانتقال إمارة الشعر إلى العراق.

[2] انظر: السياسة الأسبوعية : العدد الخاص بتكريم شوقي ، أبريل سنة1917 . وانظر: هيكل والسياسة الأسبوعية ص258 ،د/محمد سيد أحمد.

[3] السياسة الأسبوعية ، العدد 59 ، بتاريخ 24 /1927/4. وانظرهيكل والسياسة الأسبوعية ص258، يقول د/ محمد دسـيد محمد:"ويعد هذا العدد مظاهرة أدبية وماندة حافلة بالقصـاند والمقالات التي تدور كلها حول تكريم شـوقي وتبجيله، مع لمسات خفيفه من نقده بين سطور مقال وآخر ، وباستثناء مقال المازني ، ورأي العقاد وهما من أشد النقاد هجوما على شعر شوقي."

[4] السياسة الأسبوعية ، العدد 69 ، بتاريخ 2 /7 /1929.

من صـــبيانه يذيعونها في المقاهي والطرقات.وعن ذلك يقول د/ محمد ســـيد محمد:"وبرغم الكثير من الثناء والمدح والتكريم الذي حظي به شـــوقي في هذ العدد إلا أن القليل من النقد الذي تناوله أقلام الكتاب لم يعجبه ، وبرغم مراجعته للعدد قبل صـدوره وطلبه اسـتبعاد مقال معين منه وإجابة الدكتور هيكل لهذا الطلب ،إلا أن بطانة شـــوقي ومن يتوددن إليه بالثناء المتصل أخذوا يعرضون باللجنة والصحف التي كرمت شوقي زاعمين أنهم يتخذون من شهرة شوقي وسيلة لبضاعتهم الكاسدة مما دفع هيكل أن يكتب مقالا يعلن فيه سوء تقدير شوقي لمعنى التكريم ولمعنى النقد ,ويصف تصرفات مريديه في التجني على لجنة تكريمه بأنها دنو من حضيض الخلق[1].

ويشـير أ/ سـامح كريم إلى معركة هي أكثر معارك العقاد احتداماً وهي معركته حول الشعر الحديث، وقد اتسمت مواقفه في هذه المعارك بالعنف والصلابة في آن واحد[2].

وقد تبدو الدهشـة في هذا الجانب بالذات؛ ذلك أن العقاد كان من أنصـار التجديد في الشعر ، وقد شهدت عشرينيات وثلاثينيات هذا القرن معارك العقاد الضارية مع كبار الشعراء التقليدين حول وجهة نظره في التجديد في الشـعر ، وربما تزول هذه الدهشـة لو أدركنا ما كان يهدف إليه العقاد من تجديد الشـعر ، لقد كان يهدف إلى بنية القصـيدة نفسـها ، لكن الشـعر الحديث كما فهم العقاد كان يهدف إلى إلغاء الوزن والقافية ليظل هكذا حراً من الاثنين وهذا ما كان يرفضه جملةً وتفصيلاً[3].

وقد قامت معارك حول الشعر ليس في شكله وإنما أيضاً في مضمونه ، وقد رد العقاد بسخرية على هذا المطلب متسائلاً: " هل من الضروري لتقر عين الواقعية أن يتضمن الشعر الكتابة عن بطاقة التموين وأسـعار الحاجيات؟ وهل أشـارت "إلياذة" هوميروس إلى أسـعار الجبن والزيتون في عصرها؟[4].

وعن الشكل يرى العقاد أن الشـعر وزن قبل كل شـيء والوزن قاعدة، وهم يزنون على التفعيلة الواحدة ، ولكل كلمة تفعيلة، والشـعر الحق جملة تفعيلات، والوزن مجموعة تفاعيل، وهذا من بنى واسـتقام على ذلك، فهل يلغى شـعر المتنبي والبحتري والأخطل والمعري من أجل عيون التجديد والمجددين[5].

---

[1] وانظر هيكل والسياسة الأسبوعية ص259 .
[2] انظر العقاد في معاركة الأدبية ص82 سامح كريم ، مهرجان القراءة للجميع.
[3] انظر: السابق ص82.
[4] انظر: السابق ص82.
[5] انظر: السابق ص82.

وأما إلغاء القافية فقد ثبت بالتجربة أن إلغاء القافية كل الإلغاء يفسد الوزن ولا تدعو الحاجة إليه[1].

ويشير د/ علي شلش إلى أربعة اتجاهات مثلت الاتجاهات الرئيسية في العراك الأدبي، وهي حسب ترتيب ظهورها:

1- الاتجاه الكلاسيكي.

2- الاتجاه الرومانتيكي.

3- الاتجاه الواقعي.

4- الاتجاه الرمزي[2].

وكان لكل اتجاه قضاياه التي دار حولها الصراع، فالاتجاه الكلاسيكي مثلاً كانت قضيته الكبرى الالتزام بشكل القصيدة العربية وإحياء تقاليدها الفنية المحافظة على اللفظ العربي الأصيل، وكان مثار نقد من أصحاب الاتجاه الرومانتيكي الذين يرون الخروج من أنماط الشعر التقليدية داعين إلى التجديد في القصيدة العربية.

وقد كان لحماسة الاتجاه الرومانتيكي للدعوة إلى التجديد أثر في اختيار قضاياه، وارتباطه بقضايا محددة، وقد دار الحديث في قضيتين حيويتين هما: قضية التجديد، وقضية الأدب الشعبي[3].

أما الاتجاه الواقعي فقد ارتبط طول فترة ازدهاره بقضيتين رئيسيتين هما: قضية الالتزام، وقضية تعميق النظرة، والرؤية الواقعية للمجتمع والأدب على السواء[4].

أما الاتجاه الرمزي، فقد تباينت مواقف المجلات الأدبية تجاهه ، فإذا كانت مجلة الكاتب المصري قد شجعت بشرفارس على المضي في الاتجاه الرمزي فقد كانت مجلتا الرسالة والكاتب لا تشجعان الشعر الرمزي ولا تقبلان عليه، وقد حاول الاتجاه الرمزي احتضان ما يمكن أن نسميه قضية التجريب بما صنعه أنصاره من مغامرات في الأدب والقصة[5].

---

[1] انظر: السابق ص83.
[2] انظر: اتجاهات الأدب ومعاركه ص75.
[3] انظر: اتجاهات الأدب ومعاركه في المجلات الأدبية في مصر ص93.
[4] انظر: السابق ص114.
[5] انظر: اتجاهات الأدب والمعارك ص132.

ونتيجة لهذا الحوار الأدبي على صفحات المجلات أصبحت هذه المجلات والصحف في ذلك الزمن بمثابة جامعات منتظمة تتطاير منها المعارف المبسطة والآراء الجيدة والأفكار المتحررة والتوجيهات الفنية والآثار الفنية على أوسع نطاق[1].

وهكذا أدى الحوار الأدبي دورا في النهضة الأدبية الحديثة ،وفي توجيه الحياة الأدبية إلى قضايا جديدة في الفكر والثقافة، بل كانت مدرسة عامة أغنت القارئ العربي عن الكثير من المطالعات في الكتب، وفتحت أمامه مجالاً رحباً وآفاقا واسعة من المعارف ما كان ليطرقها لولا مطالعة هذا الحوار بما يحويه من دراسة وافية للأدب الحديث بكافة اتجاهاته وقضاياه.

ويختلف طابع الحوار في المعارك الأدبية، فمنها ما قام من جانب واحد مثل معركة الشعر الجاهلي ومعركة الثقافة مع طه حسين من جانب معارضيه، ومعركة لقمة العيش التي أثارها الدكتور زكي مبارك ضد طه حسين[2]، ومعركته مع أحمد أمين، ومثالها معركة شاكر مع لويس عوض، فلم نجد رداً واحداً من لويس عوض على منتقديه.

ومنها ما دار بين طرفين رئيسين مثل تلك المعركة التي دارت بين محمود محمد شاكر وسيد قطب ، والتي دارت رحاها بعد وفاة الرافعي , والمعركة بين زكي مبارك والسباعي بيومي حول التراث القديم، ودارت رحاها على صفحات مجلة الرسالة.

ومنها ما دار بين أطراف شتى، واستغرقت فترة زمنية طويلة وكأنها إن صح التعبير معركة جيل.

وقد تكون المعركة بين شباب الأدب وشيوخه، فيشترك فيها كثير من الشباب الأدباء ومنهم محمد علي غريب، وعبد الله عفيفي ،ومحمد أحمد حسونة ، ورئيف خوري ، ومحمود محمد شاكر و دريني خشبة.

وقد يدور الحوار وتشتعل المعركة حول كتاب أو رسالة علمية مثل رسالة منصور فهمي للدكتوراه التي عنوانها: "حالة المرأة في التقاليد الإسلامية وتطورها"، وقد أثارت ضجة كبيرة ، وكان من أبرز منتقديه محمد لطفي جمعة، وقد دافعت الجريدة دفاعاً حاراً عن منصور فهمي.

[1] انظر: اتجاهات الأدب والفن في السنين المائة الأخيرة: محمود تيمور، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب ص32.
[2] وقد وصفها أنور الجندي بأنها أضخم معركة في تاريخ الأدب العربي المعاصر ، انظر المعارك الأدبية ص671 .

كانت تلك المجلات إذن مجالاً رحباً لكثير من معارك الأدب، وفيها عرض لكثير من آراء النقاد حول الشــعر بما يمثله من زاد لا يســتهان به في عالم النقد و الأدب بما أدى من دور في خلق الاتجاهات الأدبية والمدارس الأدبية في دنيا الأدب في عصرنا الحديث.

منهج الحجاج عند أصحاب المعارك الأدبية

أو الأساليب الحجاجية في المعارك الأدبيةحول الشعر عند كتاب الرسالة

الحجاج : إلجام الخصم بالحجج، يقال : ألجم الفرس ؛ أي وضع له اللجام، والممسك عن الكلام ممثل بمن ألجم نفسه بلجام، وإلجام الخصم بالحجة من مسميات الزركشي ، وهو الاحتجاج النظري أو المذهب الكلامي .

وقد عرفه الزركشي بقوله: " وهو الاحتجاج على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه "(1).

وهذا الفن من أخص أساليب القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآَنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾(2) .

قابل – سبحانه وتعالى – الكفار بهذه المعارضة لتقيم عليهم الحجة الدامغة.

---

(1) انظر : البرهان في علوم القرآن، جـ 3، ص268، بدر الدين محمد عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط. الأولى، 21376هـ ، دار إحياء الكتب العربية . وانظر: المعجم المفصل في علوم البلاغة والبيان والبديع، ص 222، إعداد: إنعام موال عكاوي، ط. 2، 1417هـ - 1996م، مراجعة: أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

والحجة: الدليل والبرهان، يقال: حاججته، فأنا محاج، وحجيج فصل بمعنى فاعل، وفي التنزيل قوله تعالى في وقفة إبراهيم مع قومه: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ سورة: الأنعام، من الآية: 80 .

وقال سبحانه في معرض الرد على الكافرين: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...﴾ سورة: الشورى، من الآية: 16. أي ما جاء به أهل الباطل والضلال من أدلة على مذهبهم ليس له اعتبار؛ بل هي أدلة باطلة زائلة، لا تقوم ولا تصمد أمام ما هو واقع وحق , وفي الحديث: " فحاج آدم موسى " رواه البخاري ومسلم؛ أي غلبه بالحجة .

ومن أمثال العرب: "لح فحج" مضاد لج فغلب من لاجه بحجته، يقال: حاججته أحاججه حجاجًا ومحاجة في حجيته أي غلبته بالحجيج ؛ أي أدليت بها". انظر: لسان العرب، مادة " لجج " تحقيق: عبد الله الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، وانظر: مقاييس اللغة، مادة "حج"، حـ 2، ص23، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، اتحاد الكتاب العرب

قال أبو بكر الجصاص : " وهذه الآية تدل على صحة المحاجة في الدين، واستعمال حجج العقول ، والاستدلال بدلائل الله تعالى على توحيده وصفاته الحسنى، وتدل على أن المحجوج المنقطع يلزمه إتباع الحجة، وترك ما هو عليه من المذهب الذي لا حجة له منه، وتدل على بطلان قول أن لا يرحى الحجاج، وإثبات الدين، لأنه لو كان كذلك لما حاجه إبراهيم υ ، وتدل على أن المحجوج عليه أن ينظر فيما ألزم من الحجاج، فإذا لم يجد منه مخرجًا صار إلى ما يلزمه. انظر : أحكام القرآن للجصاص ، جـ 2 ، ص 172 ، دار إحياء التراث ، بيروت، 1405هـ ، تحقيق : محمد الصادق قمحاوي .

(2) سورة : الإسراء ، من الآية : 88 .

ومنه أيضًا قوله تعالى في قصة إبراهيم : ﴿ قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ * قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾(1).

ولهذا فإن أصول الحجاج والمجادلة عند المسلمين إنما هي من الكتاب والسنة؛ هذا أولاً .

ثانيًا : ومنذ أن وضع أرسطو كتابيه الخالدين :" الخطابة" , و"الشعر" تميزت من خلالهما بلاغتان رئيستان أساسيتان أو فرعان أساسيان من فروع البلاغة هما: بلاغة الحجاج والجدل والإقناع القائمة على التصديق والقياس المنطقي، ومجالها الخطابة، وبلاغة التخييل الشعري المتجهة نحو الأسلوب واللغة المجازية، والتأثير العاطفي، ومجالها الشعرية ....

فللأخير أسلوب يتجه نحو مخاطبة العاطفة – ترهيبًا وترغيبًا–، أما طريق الحجاج فهو أسلوب يتجه نحو مخاطبة العقل وآلياته العقلية إعمالاً للحواس، والإدراك والحدس ليس بحثًا عن الحقيقة المطلقة ....؛ بل سعيًا إلى الإقناع والتدليل على الممكن الذي أعلن أرسطو ميلاده في القرن الخامس قبل الميلاد(2).

ويرى بعض الباحثين أن الحجاج المعاصر والأرسطي القديم لم يتجاوز أبعادًا ثلاثة ، وتتمثل هذه الأبعاد المحققة للإقناع فيما يأتي :

أولاً : أخلاق القائل : (المحددات السياقية) .

ثانيًا : تصيير السامع في حالة نفسية ما (التأثير) .

ثالثًا : القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنه يثبت ، وهو ما يعبر عنه الحجاجيون المحدثون بالعناصر الثلاثة، وينتمي إلى ثلاثية أرسطو في وسائل الحجة: الإينوس ، والباتوس ، واللوغوس(3) .

وأما قضايا العراك فتمثل ظاهرة التثبيت والتحقق أولى الخطوات التي يقصد إليها الكتاب بالدرس والبحث ، فالكاتب يعمد أولاً إلى المصادر الأولى يرى صواب أو خطأ ما بين يديه من كتابات الآخرين، وقد ظهرت تلك الدقة وهذا النقد المبني على أصول راسخة من البحث والتحري فيما تتناوله أيدي الكتاب من قضايا تتصل بالتراث العربي، ومثال ذلك

---

(1) سورة : الأنبياء ، الآيتان : 62 – 63 .

(2) انظر: بلاغة الحجاج في الشعر العربي ، شعر ابن الرومي نموذجًا، د/ إبراهيم عبد المنعم إبراهيم ، مكتبة الآداب ، ط. الأولى، 1428هـ - 2007م.

(3) انظر: بلاغة الحجاج في الشعر القديم (حجاج الشاعر شفيعًا ومحرضًا) د/ محمد سيد علي عبد العال، ص 17 ، مكتبة الآداب ، ط. الأولى، 1435هـ - 2017م.

المعركة الدائرة حول المعلقات، وكان قطبا الرحى فيها أ/عبد المتعال الصعيدي ، ومحمد طه الحاجري .

ففي مقالته الأولى يتحدث أ/ عبد المتعال الصعيدي عن رأيه في تسمية المعلقات قبل جمع حماد لها "بالمشهورات"، وكيف استحدث اسم المعلقات، ففي رحلة بحثه عن سر هذه التسمية الجديدة " المعلقات " نجده يرجع إلى معاجم اللغة، فيرجع إلى القاموس والأساس بحثًا عن جذر الكلمة ليصل إلى ما يرتاح إليه عقله في بيان وجه تسميتها بذلك، فهذه المعلقات معلقات مما حدث للناس بعد جمعها من حبهم لها، وتتبعهم إياها بما كانوا يتتبعونها به من حفظها وشرحها .... (1).

ثم يورد الفروص الأخرى في تسمية المعلقات، فينسب الرأي إلى صاحبه، فمثلاً قالوا : إن الشعراء في الجاهلية كانوا يقصدون أسواق العرب التي كانوا يقيمونها كل سنة بجوار مكة، فيتناشددون الأشعار، وكان ينصب للشاعر فيها ربوة، فيصعد إليها، وتحدق به العيون، وتشرئب إليه الأعناق ، فينشد قريضه عليهم حتى يأتي على آخره، فلا يقاطعه أحد ولا يستوقفه، فإذا ما أحكم القول وبلغ عن الفصاحة ما وقع اتفاقهم على حسنه وإجادته كتبوه بحروف الذهب على نفيس الديباج، وعلقوه على الكعبة المشرفة .....

وممن قالوا بهذا ونحوه في سبب تسمية تلك القصائد بالمعلقات أحمد بن عبد ربه القرطبي – صاحب العقد الفريد ، وابن خلدون ، وابن رشيق ، فيورد من كلام كل ما يدلل على رأيه ، ثم يورد رأي أبى جعفر النحاس ، والذي يخالف فيه رأي معاصره ابن عبد ربه يقول أبو جعفر الناس في شرحه على تلك المعلقات : واختلفوا في جمع القصائد السبع، وقيل: إن العرب كانوا يجتمعون بعكاظ يتناشدون الأشعار، فإذا استحسن الملك قصيدة قال: علقوا لنا هذه ، وأثبتوها في خزانتي، وأما قول من قال: إنها علقت بالكعبة فلا يعرفه أحد من الرواة .

ولا تمر هذه الرواية على أ/الصعيدي مرور الكرام، فيسأل من باب التثبيت: من هو هذا الملك الذي كان يأمر بتعليق هذه القصائد في خزانته، وقد رجع بعضهم أنه النعمان بن المنذر؛ لأنه هو الذي كان يعني من المناذرة بجمع أشعار العرب، وكان عنده ديوان مكتوب جمع فيه أشعار الفحول، وقد صار ذلك الديوان أو ما بقي منه إلى بني مروان على ما رواه أبو عبد الله بن سلام الجمحي في كتابه "طبقات فحول الشعراء"، وهذا ما ينكره أ/الصعيدي،

(1) الرسالة ، العدد 56 ، ص 1263 ، 30 يوليو 1934م، أ/ محمد عبد المتعال الصعيدي .

فعصر النعمان بن المنذر أحدث من عصر كثير من أصحاب المعلقات مثل امرئ القيس، وطرفة ، وعمرو بن كلثوم، والحارث بن حلزة(1).

وأما ما يستند إليه أبو جعفر في رأيه السابق من أن حمادًا لما رأى زهد الناس في الشعر جمع لهم هذه القصائد السبع ، وقال: هذه هي المشهورات، ويؤخذ من ذلك كله أن تسميتها بالمعلقات عند أبي جعفر يرجع إلى قول الملك:" علقوا لنا هذه" ، لا إلى أنها علقت في الكعبة .

يقول : " ولست أدري على أي شيء يستند أبو جعفر فيما ذكر عن حماد في جمع هذه القصائد "(2)

وليس يغيب عن فكروعقل أ/ الحاجري أصول الحجاج، ومنها التثبت ، ثم ما يحتاج من توجيه وتعضيد، يقول : " ولكنه رأى في سبب تسميتها ما يحتاج من توجيه وتعضيد، وإنحاء على الآراء الأخرى بالمحاجة والمجادلة، ثم التوهين، وهذا بحث جليل لا يضع من قيمته جزئية موضوعه؛ ما دام متمشيًا مع الأسلوب العلمي قائمًا على أصول البحث الصارمة "(3).

ثم يناقش أ/ عبد المتعال في جدة رأيه ، فيرى أنه ليس جديدًا، وأما الأدلة على ذلك فيورد ما كتبه المستشرق "نولدكه" في الفصل الذي كتبه عن المعلقات في دائرة المعارف البريطانية ليثبت أن ما جابه الصعيدي ليس بجديد ؛ بل يرى أن نولدكه والصعيدي توارداً في نقد عبارة النحاس عند هذه النقطة(4).

أما الأستاذ / الصعيدي ، فقد ذهب إلى ما رأينا من التحكم ، والبناء على الفروض، وأما نولدكه فيقول: إن من الصعب احتمال أن ملكًا عربيًا كان يشهد سوق عكاظ .

ويرى أن هذا العلامة الأعجمي أكثر توفيقًا، وأهدى إلى الجادة في فهم وتخريج النصوص .

---

(1) الرسالة ، العدد 56 ، ص 1264 .

(2) الرسالة ، العدد 56 ، ص 1263 .

(3) انظر : الرسالة ، العدد 58 ، ص 1346 ، 3 أغسطس 1934م، مقال "تقدر تغضب " ، أ/ محمد عبد المتعال الصعيدي .

(4) السابق ، ص 1347. وهذا النقد مفاده أن الملك في قول الناس هو النعمان بن المنذر، ثم يبني على هذا الاعتراض الذي افترضه هو اعتراضه موجها إلى أبي جعفر النحاس .

وأما التثبيت التاريخي فلا يغيب عن كتاب المعارك. يقول: " وأوضـــح من هذا في الدلالة على قيام هذا السوق قبل التاريخ الذي حدده له الأستاذ ما جاء في أخبار عبد شمس بن مناف أن زوجته عبلة بنت عبيد كانت تحت رجل من بني جشـــم بن بكر فبعثها بأنحاء سمن تبيعها له بعكاظ، فباعت السمن وراحلتين كان عليهما، وشربت بثمنها الخمر، ... إلخ القصـــة ... وهي مذكورة في الجزء الأول من الأغاني في أخبار عمر بن أبي ربيعة، وهي تدلنا دلالة قاطعة على قيام ســوق عكاظ في عهد عبد شــمس، وأين عبد شــمس مما ذكره الأستاذ؟ فكيف يصح مع هذا أن يكون عام 586 تاريخًا لبدء قيامها "(1) .

وهو في ذلك ينقض قول الصـــعيدي : إن ســـوق عكاظ التي أجمعوا على أن تلك القصـــائد كانت تلقى فيها أحدث بكثير من عهد أصـــحاب المعلقات؛ لأنها أقيمت بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة، ولوددنا والله لو د لنا الأستاذ على مصدر هذا القول، فلسنا نذكر أن ياقوتًا تعرض في معجمه إلى تاريخ إنشائها، والذي نحسبه أن عهد هذه السوق أقدم مما ذكر الأستاذ، ففي سيرة ابن هشام أن رسول الله ρ شهد حرب الفجار وعمره أربع عشرة سنة ، ويذكرون في سببها أن قريشًـا حين بلغها مقتل عروة الرحال كانت في عكاظ، وفيها قامت الحرب، وسميت باسمها ، وقال ابن الزبعرى في مدح العباس :

وفي يوم عكاظ منعوا الناس من الظلم

بل إن أ/ الصعيدي يذكر في حجاجه ورده على أ/ الحاجري قائلاً : وإذا أراد ناقد رأيي بحثًا في وثاقة رواية هذه القصائد وأمثالها فيمكنه أن يجد ذلك في بحث صحة أشعار امرئ القيس من كتابنا "زعامة الشعر الجاهلي"(2) .

ومع التثبيت تأتي الدراسة العميقة القائمة على التحليل ، والتفسير، وعليه فلا ينفصل منهج الحجاج في العراك الأدبي عن الدراســـة العميقة ، فهو ينبي عليها ، وخير مثال على ذلك المعركة التي دارت حول نبوءة المتنبي ، فقد كانت المقالات المكتوبة تمثل بحثًا أدبيًا عميقًا، فهي أقرب إلى الدراسة الأدبية العميقة منها إلى المقالة الصحفية؛ إذ كان فيما صنعه أ/ شاكر من نفي تنبوء المتنبي ، وما قدمه أ/ الأفغاني من ردود وعليه لدليل على التحري ،

(1) الرسالة ، العدد 56 ، ص 1347 .
(2) الرسالة في المعلقات أيضًا ، أ/ عبد المتعال الصعيدي ، ص 1428 .

والدقة ، والبحث ، والتمحيص، ونقد الروايات، وتحليل النصوص ، والوقوف على مضامينها، وسبر أغوارها ؛ وصولاً إلى الحق الذي يطلبه كل منهما .

وبالنظر إلى معالجة كتاب الرسالة لقضايا العراك يستطيع الباحث أن يضيف إلى منهج الحجاج عند كتابها طغيان النزعة العلمية كمقوم أساس من مقومات الحجاج .

وتتضح تلك المقدرة العلمية عند كتاب الرسالة فيما كتبوه من تلك المقالات في "المعركة الدائرة حول المعلقات " ، أو المعركة دارت حول " دين المتنبي ونبوءته " أو تلك التي دارت حول بيت من الشعر من مثل تلك التي دارت حول قول الشاعر:

" أذني زلزلت طربًا "

أو حول بيتين للعقاد :

ألقى لهن بقوسه *** قزح وأدبر وانصرف

فلبسن من أسلابه *** شتى المطارف والطرف

ففيها يتضح مقدرة كتابها العلمية ، وقدرتهم على الحجاج مستندين إلى أدلة صحيحة، وفهم سليم ، وإدراك واعٍ لجوانب القضية محل البحث والدرس .

وقد سلك معظم كتاب الرسالة في معاركهم منهجًا تكاد ترتسم ملامحه العامة فيما يلي :

تلخيص حجج الخصم .

الدراسة الوافية، والتي تشمل البحث عن المصادر ودراسة الموضوع .

بيان ما في تلك الحجج من القوة والضعف .

إبداء الحجج والبراهين ، والتي تؤيد ما يذهب إليه الكاتب.

الحكم النهائي والذي يأتي به الكاتب بعد دراسته العميقة المتأنية، وإزالة كل الشبه التي طرحها منازله .....

وقد اتضحت أبعاد هذا المنهج الحجاجي فيما كتبه شاكر خاصة في مقالاته حول نبوءة المتنبي ، وفي رد أ/ سعيد الأفغاني عليه ؛ بل قد تقود المحاجاة إلى دراسة فنية وافية ، كما ظهر ذلك في الحديث عن المعلقات .. تسميتها، وجمعها، والتي دارت بين أ/ الصعيدي ، وأ/ الحاجري ، فقد كانت نموذجًا في بابها للدراسة الفنية للموضوع محل البحث والدرس .

ولا يخلو المنهج الحجاجي عند كتاب الرسالة من السخرية أحيانًا، فملكة السخرية من الملكات الأصلية في الشعب المصري ، وقد ورث كتاب وأدباء ومفكرو الرسالة هذه الملكة من البيئة المصرية ، وقد استعانوا بها في كثير من مقالاتهم .

ففي المعركة بين الرافعيين والعقاديين وبين شاكر وسيد قطب على وجه الخصوص نرى السخرية، وقد أدت دورها في هذا النقد ، وفي ذلك العراك، فالرافعي حين يقف أمام قول العقاد في قصيدة "خليج استانلي " يقول :

هذى معارض صنعة ... لله تبهر من وصفه

حي الجمال كما بدا ... أولا فدونك والجيف!

يقول قطب عن سخرية الرافعي من هذين البيتين :

ولكن (الرافعي) لا يلقى باله إلى شيء من هذه اللفتات، فيأخذ منخره بين أصابعه ويزم شفتيه، ويشيح برأسه، ويروح يتصنع التأفف والمبالغة فيه، لأن هناك رائحة لا يطيقها في كلمة (الجيف!)

وهذه سخرية ناقدة ، أو نقد ساخر تبعث النفس على الاستهزاء من الشعر وصاحبه(1).

ومثال آخر أشار إليه سيد قطب بقوله : " ويقول العقاد متهكمًا وفي فصل يسميه "فكاهة " ويعنون له بهذا العنوان :

من رأى زُهرة الجمال فهذي ... زهرة القبح أسفرت تتحدى

طلعة الشؤم من رآها يخلها ... خلقت من وجوه سبعين قرداً!

فما يلمح الرافعي هذا القول حتى يفرق في ضحك مصطنع طويل وهو يقول : وما الفرق بين أن تكون طلعة الشؤم هذه خلقت من وجه قرد أو من سبعين أو سبعمائة ؟"(2).

وقد تأتي السخرية في صورة حكاية تعبر عن توجه الكاتب وسخريته، ويمثل هذا النمط ما كتبه أ/ أحمد أمين تحت عنوان " أدب القوة وأدب الضعف " يقول :" يروون أن جماعة من آل الزبير كانوا يجتمعون إلى مغنية فيسمعون ويطربون. حتى إذا استخف الطرب أحدهم (وهو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير) قال فيها:

أحلف بالله يميناً ومن ... يحلف بالله فقد أخلصا

لو أنها تدعو إلى بيعة ... بايعتها ثم شققت العصا

---

(1) الرسالة ، العدد 256 بين الرافعي والعقاد .

(2) السابق .

فبلغت هذه الأبيات أبا جعفر المنصور فدعاه إليه وعنفه على قوله، وعيّره بضعف آل الزبير من هذه الناحية إلى أن قال له (حتى صرت أنت آخر الحمقى تبايع المغنيات، فدونكم يا آل الزبير وهذا المرتع الوخيم!)

وسخر المنصور من هذا الضرب من القول. وهذا النوع من الحياة، وقال إنما يعجبني أن يحدى لي بهذه الأبيات:

إن قناتي لنبع لا يؤيسها ... غمز الثقاف ولا دهن ولا نار

متى أجر خائفاً تأمن مسارحه ... وإن أخف آمناً تقلق به الدار(1).

أورد هذه القصة وهو في معرض الحديث عن أدبين ..أدب الضعف أو أدب الميوعة ؛ ساخرًا منه ، وأدب القوة أو الأدب الرصين (2).

والسخرية سلاح مضاء على ما فيه من ليونة الملمس ونعومة المظهر؛ فهو يبلغ ما لا يبلغه الهجاء

وإذا كانت السخرية حسب وصف الدكتور/ نعمان طه(3)"" أنها النقد الضاحك أو التجريح الهادي فهي في خقيقتها نقد لصور وآراء من الحياة، وقد لعب هذا الفن دورًا بارزًا لدى كتاب الرسالة في عراكهم الأدبي ، وقد أفصحت تلك المقالات عن مقدرتهم المتفردة في استخدام هذا اللون في دحض الخصوم، والتدليل على بطلان حجج الخصم .

وأما غزارة الحجج والبراهين في المعارك الأدبية فهو مما يلمسه القارئ العجل بل المتأني ، ففي كل المقالات تقريبًا يعمد كتابها إلى إيراد كل الحجج والبراهين التي يستعين بها الناقد في تأييد وجهة نظره، وقد مثلت المعركة التي دارت بين شاكر والأفغاني خير مثال على ذلك .

وقد يلجأ كتاب المعارك في حجاجهم إلى أسلوب في المجادلة قريب الشبه بالمنهج السقراطي(4) ؛ إذ يعمد الكاتب إلى إيراد عدد من الأسئلة المتنامية ليجبر الخصم من خلالها

---

(1) انظر الرسالة ، العدد 9 ، ص 5 ، أ/ أحمد أمين مقال "أدب القوة وأدب الضعف " .

(2) السابق .

(3) انظر : السخرية في الأدب العربي حتى القرن الرابع الهجري، جـ 1، ص 14، دار التوفيقية ، مصر ، القاهرة ، 1978م.

(2) المنهج السقراطى منهج سلك فيه سقراط سبيلين فى البحث بهدف الوصول إلى غايتين ..أولهما : التهكم السقراطى وهوأحد ركنى المنهج عند سقراط، وهو يهدف إلى محاربة الخطأ ودحض الآراء الخاطئة، فيلجأ إلى ماسمى التهكم السقراطى،فيلقى السؤال،وكأنه راغب حقا فى التزود من العلم جاهل بالإجابة، فإذا ما أجيب إجابة خاطئة لم ينكره، ولم يعترض،بل تظاهر بالموافقة على أفكار خصمه وآرائه،ويلقى عليه أسئلة أخرى توقع محاوره فى التناقض فيعرف بذلك خطأه، وهذا هو مبدأ سقراط"اعرف نفسك بنفسك"، فيصل إلى الغاية الثانية وهى التوليد، وتمثل الجانب الثانى من المنهج السقراطى, ويقوم التوليد على طريقة مشابهة للأولى، فسقراط يؤمن بأن الفكر

على الاعتراف بالنتيجة التي سيصل إليها ومثال ذلك مانجده في مقالات أ/ شاكر، إذ يعمد إلى إيراد عدد من الأسئلة المتنامية ليجبر الخصم من خلالها على الاعتراف بالنتيجة التي سيصل إليها ومثال ذلك في مقالته:" بين الرافعي والعقاد" ،إذ يمضى شاكر فى طرح أسئلته ليصل إلى النتيجة التى يسعى إليها ولا يستطيع الخصم أن ينكرها أو يرفضها إذ بنيت على مسلمات وافق هو عليها(1)، ومثال ذلك قوله: أوليس يقتضي – هذا على الأقل – أن يكون قرأ كل ما طبع من كتب الرافعي دون ما تفرق من كلامه في الجرائد والمجلات على كثرتها. .؟ بلى

أوليس يقتضي هذا – على الأقل أيضا – أن يكون حين حكمه قد استرد شتات ما بقي في نفسه من آثار كلام الرافعي فيها؟ قالوا بلى

أوليس يقتضي حق النقد والحكم – على الأقل أيضاً – ألا يصف الرافعي بالذكاء اللماع، والذهن الوضاء. . . وهذا الكلام المفخم – ألا يكون ذلك من آثار ما قرأ له من شيء. .؟ قالوا بلى

إذن فكيف – في عشرة أيام يا سيدي – يستطيع كتاب واحد للرافعي هو (رسائل الأحزان) أن يقلب – هذا (الأخصائي في اللغة التي نعبر بها)، وهذا الذي (استطاع!! أن يكون ناقداً) – رأساً على عقب، فلا يكتفي بسلب النعوت المفخمة (كالوضاء واللماع والمتفتح) فيترك الذهن هكذا مجرداً، بل يضع مكانها أضدادها فيجعله ذهنا (مريضاً خابياً غير لماع ولا وضاء، مغلقاً غير متفتح) (2).

ويفرق شاكر بين أسلوبين؛ الأول : وصفه به محمد رجب بيومي وهو : اللجوء إلى الخطب المنبرية ، والأدلة الخطابية، واستثارة النوازع العاطفية، وهذا ما لا يقره شاكر في أمر حجاجه.

وأما الأسلوب الثاني : فهو أسلوب يقوم على التحري ؛ لأن صاحبه يرى أنه مسؤول أمام الله سبحانه(3).

البشرى قويم بطبعه قادرعلى أن يكتشف بعض الحقائق من تلقاء ذاته إذا عرفنا كيف نقوده وننبهه ,لهذا كان يسير بالمتحدث رويدا رويدا وخطوة خطوة إلى الرأى الذى يودأن يلقيه له انظر"الفكر التربوى وتطبيقاته" ص72 باب" الفكر التربوى فى الفلسفة اليونانية وتطبيقاته التربوية "د/سعيد محمود مرسى من منشورات جامعة الزقازيق 2009م.

(2) انظر الرسالة ، العدد 257 ، ص 933 ، 934 ، مقال :"بين الرافعي والعقاد"، محمود محمد شاكر .
(3) المقالات، ص 567 .

ونتيجة لاقتناع أصحاب المعارك – كل بآرائه، وثقته بأدلته ، فهم يسوقونها على سبيل التوكيد، مستعملين كثيرًا من أدواته .

يقول شاكر : " هآه. . . إني لأشك كل الشك في براءة الأستاذ مما غاظه من كلمتي الأولى مما سماه (شتائم)، ولقد شهدت مرة أخرى (أن ما بالأستاذ قطب النقد، ولا به الأدب، ولا به تقدير أدب العقاد وشعره، فما هو إلا الإنسان وجه يكشفه النور ويشف عما به، وباطن قد انطوى على ظلمائه فما ينفذ إلى غيبه إلا علم الله). ولا زلت أقول له: "إنه لو عاد إلى داره مخلى من حوافز الحياة الدنيا فقرأ ما كتب قراءة الناقد لوجد الاختلاط في لفظه بيناً، والغرض من ورائها متكشـــفاً. ولو شـــئنا أن نقول لقلنا فلم نكذب: إن كلامه لمشـــترك بين ضربين ..."(1).

وبعد... فالذي لا ينكره القارئ لمقالات العراك الأدبي أن كتابها كانوا جرآء في الحق، وأنهم كانوا مقاتلين بغيتهم الوصـــول إلى الحقيقة، وأدواتهم الحجة والبرهان؛ لذا جاء حجاجهم خالصًا لوجه الحق، وشاهد صدق على حسن القصد.

(1) الرسالة ، العدد 257 ، ص 934 بين الرافعي والعقاد .

(Literary battles about Poetry in the first half of the twentieth century)

(Al-Resala Magazine as a model)

Analytical study